احذروا أيها السودانيون
الإنجليز يبحثون عن الذهب الأبيض

فى بحوث قيمة نشرتها البلاغ والأهرام منذ بضعة أشهر أفاض سعادة حامد القصبى بك وكيل وزارة الأشغال فى التدليل على وحدة شطرى الوادى بين أنَّ الرابطة بين مصر والسودان أزلية متغلغلة فى التاريخ إلى ألوف مضت من السنين وأوضح أنَّ نصوص دستور الحكم المصرى لشرط البلاد الجنوبى بالسودان قبل أن ينكب الوادى كله بالاحتلال البريطانى تقضى على تخرصات المستعمرين وسعيهم بالوقيعة والدس بين الأخوين الشقيقين. ثم عرض للموضوع من زاوية الفن الهندسى الذى قال عنه بحق «إنَّه لا يعرف تحيزًا ولا تختلط فيه الحقائق بالأباطيل» فشرح أنَّه لا يمكن أن يستخرج مشروع من مشاريع الرى ذات الشأن من أجل بلد منهما ولا تتناول عوامله البلد الآخر وعارض الإنجليز فى تحدثهم عن السودان وأنكر عليهم أى شأن فيه وسخر بحديهم المصطنع على أهله وغيرتهم الزائفة على حقوق بينه ورسم لناصورة واضحة تدل على أنَّ المستعمرين أرادوا بالسودان أن يكون فى أيديهم سلاحًا يشهرونه فى وجه مصر كلما حزبهم الأمر.

ثم انتهى من بحوثه إلى الكشف عن سر تشبثهم بالسودان لذاته فحدثنا عن «الذهب الأبيض» وعن الرغبة الملحة من جانب الإنجليز فى إقامة مملكة قطنية.

ولعلَّ أهم ما جعل لهذه البحوث قدرًا ووزنًا يلفت النظر أنها لم تستند إلى أسلوب عاطفى أو تعتمد على قول وطنى بل ارتكزت إلى مؤلفات وتقارير وأقول وضعها أو نطق بها ساسة من الإنجليز ومهندسون منهم ومؤرخون لا يمتون

لمصر بسبب، فوحدة مصر والسودان التاريخية والطبيعية جعل مردها إلي كتاب ««معالم مصر فى القرن العشرين» لمؤلفيه المستر أرنولد رايت والمستر كارت رايت الإنجليزيين. والوحدة الفنية الهندسية استند فيها إلى «الدليل فى موارد أعالى النيل» للسير وليم جارستن زعيم المهندسين البريطانيين الذى وفد إلى مصر بعد الاحتلال وإلى تقارير المستر ديبوى الذى خدم مصلحة الرى بمصر زمنًا طويلًا.

أما قصة الذهب الأبيض فقد نقلها إلى قرائه عن كتاب «الحرب الخفية من أجل القطن» تأليف الكاتب الفرنسى «أنطوان زيشكا» وبطل هذه القصة هو السير هنرى ويكهام الذى قدر منذ زمن بعيد أنَّ القطن سيكون المحور الأول للسياسة الإمبراطورية. وهذا بطبيعة الحال أمر لا غرابة فيه لأنه المادة الأولية لصناعة عيش فيها خمسة عشر مليونًا من الإنجليز فى الوقت الذى لا تجود بلادهم فيه بشجرة واحدة منه.

ونقتبس هنا من كلام سعادة حامد بك القصبى ما نصه:

«ومن أجل استدامة هذه المملكة إذن حرص الإنجليز علي استدامة نفوذهم فى السودان. ومن أجلها كان تسبب الإنجليز في نشوب المعارك السودانية. ومن أجلها كادت تدخل إنجلترا فى صراع دموى رهيب مع فرنسا فى حادثة فاشودة. ومن أجلها وضعت أقدامها فى مصر.. أفلا يجدر بالإنجليز إذن أن يتركوا هذا التحرق الذى يبدو أنَّه على صالح السودانيين وأن يفرغوا ما يملأون به أفواههم من عبارات الحفاظ على ما ارتبطوا به من عهود للشعب السودانى وأن يظهروا على الناس فى وضعهم الحقيقى؟.. لعلَّ ذلك أولى لهم فإنهم مهما استتروا وراء ما يذيعون ويشيعون من أنهم إنما يبغون خير السودان ورغده حبًا فى سوادعيون السودانيين فإنَّ ذلك لم يعد ليجوز علينا نحن أهل الوادى وفينا بصر ولنا عقول».

>>>

لكنَّ الإنجليز قوم مضللون علمتهم السياسة الاستعمارية فيما علمتهم إياه رذيلة التضليل واللف والدوران، ومحاولة إخفاء الحقائق.

أولئك المتشبثون بمصر والسودان يلبسون مسوح الكهنة والرهبان ويظهرون العطف على السودانيين، ويعلم الله أنَّه لو تمكنوا منهم وانتهى الأمر لهم وحدهم لامتصوا دماءهم ثم مزقوا بالرصاص أجساهم كما يفعلون الآن على ضفاف القنال على مسمع من العالم وتحت بصر هيئة الأمم المتحدة.

أليس غريبًا أن نعثر فى محاضر المحادثات التى دارت بين معالى الدكتور محمد صلاح الدين باشا وزير الخارجية وسعادة السفير البريطانى السير رالف ستيفنسون على قول لسعادته فى جلسة 26 أغسطس الماضى يقرر فيه ما نصه:

«ليس لبريطانيا مصلحة اقتصادية أو استراتيجية حيوية فى السودان وهى لا تهتم إذا كانت مصر والسودان».